الفصل السادس

الخرافات والبدع

من هو المسؤول عن الدين؟

الإسلام دين مجهول، ذلك أن حقائقه انقلبت شيئاً فشيئاً في عقول المسلمين، والسبب الأساسيّ في ذلك هو تهرُّب فئة من هؤلاء [من التمسك بالإسلام] واللجوء إلى التعاليم الخاطئة التي تُبث باسم الدين. إن هذا الدين المبين يُصاب اليوم بأضرار بالغة من مدّعي الدفاع عنه أكثر من غيرهم. إن الغزو الاستعماري الغربي بعناصره المنظورة وغير المنظورة من جهة، وقصور أو تقصير الكثير من أدعياء الدفاع عن الإسلام في هذا العصر من جهة ثانية، تسببا في تعريض الأفكار الإسلامية في مختلف المجالات، سواء في الأصول أو الفروع، لحملة شعواء، لذلك فالواجب يحتم علينا أن نتحرك بالقدر المستطاع في هذا المجال ونتحمل مسؤولياتنا تجاه الدِّين الحنيف[1].

الإسلام والحياة

ثمة من يرى أن أمور الحياة منفصلة بعضها عن بعض، ولكل شيء حدود خاصة ومجال معَيّن، وأن كل زاوية من حياة البشر ترتبط بشيء خاص، ولذلك فإن هؤلاء يستغربون وقد يستنكرون أحياناً أن يتحدث شخص عن «الاقتصاد الإسلامي». لأنهم يعتقدون بأن الإسلام شيء والاقتصاد شيء آخر منفصل، فالإسلام بمثابة دين له مجاله الخاص، والاقتصاد باعتباره علماً أو فلسفة له مجاله الخاص أيضاً، تماماً كما للثقافة، والسياسة، والقضاء، وحتى

(1) عدل إلهى، ص8-9.

الأخلاق، لكل منها مجاله الخاص المنفصل عن الإسلام.

ويذهب بعضهم أبعد من ذلك، فيزعم أن الحياة بشكل عام مسألة مستقلة، وأن الدين مسألة أخرى، ويجب أن لا نخلط بين هاتين المسألتين.

إن أول خطأ يرتكبه هؤلاء هو افتراضهم أن أمور الحياة إنما هي أمور مجّردة، كلا! فالحياة وحدة واحدة ترتبط كل شؤونها ببعض، فالصلاح والفساد في أيّ شأن من شؤون الحياة يسري في سائر الأجزاء ويؤثر فيها. فليس من الممكن أن تكون السياسة أو الثقافة، أو القضاء أو الأخلاق والتربية، أو الاقتصاد في مجتمع مّا فاسداً ويكون دينه سليماً، والعكس بالعكس.

ولو افترضنا أن الدين هو مجرد الذهاب إلى المسجد والكنيسة والصلاة والصوم، فإن من الممكن الزعم بأن الدين منفصل عن شؤون الحياة، ولكن هذا الموضوع لو كان صادقاً بالنسبة للمسيحية، فإنه لا يصدق بالنسبة إلى الإسلام[2].

لماذا احتقار العمل؟

إذا ما راجعنا أفكارنا هذه الأيام نجد أنها تحتقر العمل تحت مبررات مختلفة. فالعمل هو الشيء المهمل تماماً عندنا. مثلاً يتصور البعض أنه لو استطاع أن يحجز لنفسه قبراً في روضة الإمام الرضا عليه السلام أو روضة الإمام الحسين عليه السلام ليُدفن فيه بعد الموت فإن ذلك يُغنيه عن كل شيء!. فأين هذا الوهم من الفكر الإسلامي الأصيل؟. إن أناساً يتصوّرون أن بإمكانهم أن يفعلوا في الحياة ما يشاؤون ثم إذا ما دفنوا بعد الموت في روضة الإمام الرضا عليه السلام مثلاً، فإن ذلك يؤدي إلى تجاوز سيئاتهم! هل يجد هؤلاء طعم السعادة في حياتهم؟ ألا يفكر هؤلاء أن لو كان الدفن في روضة الإمام الرضا ينقذ الإنسان من سيئاته، فإن هارون الرشيد مدفون هناك أيضاً، إذن فهو

(2) مطهري. نظرى به نظام اقتصادى اسلام، [رؤية في النظام الاقتصادي الإسلامي] ص15-16.

محصَّن من العقاب الإلهي... إن هذا الفكر هو فكر ممسوخ وميت. وإذا ما تحدثنا عن ضرورة إحياء الفكر الديني فإن أحد مجالاته هو إحياء فكرتنا حول مسألة العمل، علينا أن نفهم أن الإسلام دين العمل وليس دين التصورات الوهمية[3].

بالعمل ندخل الجنة

لم يمنح الإسلام أي حصانة للمذنبين والمعصرين. كما كان يفعل الأولون إذ جعلوا من بيوت أصحاب النفوذ ورجال الدين أماكن محرمة، لا يمسّ من دخلها ولو كان مجرماً أو مرتكباً للموبقات، وبذلك أصبحت ملاذاً لهؤلاء. لكن العدالة الإلهية لا تمنح هكذا حصانات وهمية.

... إن هذه الفكرة تتناقض وتعاليم الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرين الذين رفضوا هذه الأوهام في حياتهم، فهل يقبلونها بعد مماتهم؟ فعندما نقرأ كتاب «نهج البلاغة» نجد موضوعين يتكرران فيه كثيراً: «التقوى» و«العمل». ولكننا نغضّ أبصارنا عن هذا الأمر ونرفض الأمرين عمليّاً. فلا نؤمن بـ «التقوى» ولا بـ «العمل»، ونقضي عمرنا الطويل بدون تقوى وبدون عمل، ثم نوصي بأن يحملوا جنازتنا إلى النجف لنُدفن هناك وتصلح أمورنا!! لنستمع إلى حديث الرسول الكريم ﷺ في هذا المجال:

لما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 124] دعا رسول الله ﷺ فاجتمعوا. فَعَمّ وخَصّ فقال: يا بني كعب بن لؤي، انقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها.

وجاء في الحديث أن الرسول ﷺ خاطب ابنته السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام- وهي بضعته: «يا فاطمة! اِعملي لنفسك فإني لا أملك لك من

(3) مطهري، حق وباطل، [الحق والباطل].

الله شيئاً». فالرسول ينهى ابنته عن الاتكال على انتسابها إليه، بل يحرِّضها على العمل بتعاليمه، إذ لا ينفعها كونها إبنة رسول الله، بل ينفعها العمل بما جاء به الرسول.

لذلك حينما نقرأ عن حياة السيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام- لا نجدها تفكر على أساس أنها ابنة خاتم النبيّين، بل تنقل الروايات إنها كانت ترتعد خوفاً من ربّها، عندما تقف في محراب العبادة، وكانت تبكي من خشية الله، وكانت تتهجد طوال ليلة الجمعة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإمام عليّ عليه السلام.

إذن، لماذا نتصرف هكذا؟ إذا كانت العلاقات تنفع دون العمل، ولو لم يكن هناك أيّ تأثير للعمل، فكان الأحرى بالسيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام- أن لا تعمل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإمامين الحسن والحسين والإمام زين العابدين، بل والإمام عليّ عليه السلام الذي كان يُغمى عليه في كثير من الليالي من خشية الله. لماذا؟ ألم يكن يفكر أنه أول الناس إيماناً؟ وأنه صهر النبيّ؟ وبينه وبين الرسول علاقة وثيقة؟. هذا هو التوجيه الإسلامي، فعندما كان الإسلام يُطبَّق صحيحاً كانت نتيجته أن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحسب لهذا الانتساب أيّ حساب، بل كان عمله هو كل شيء. كان تركيزه على العمل بمنهاج رسول الله صلى الله عليه وآله. إن هذا هو أحد الأمراض التي أصابت الفكر الإسلامي منذ العصر الإسلامي الأول وحتى الآن، إلا أن هذا المرض كان ضعيفاً في العصر الأول، وكما أشرت فإن الشيعة وغالبية أهل السنّة كانوا يقفون في الخط المقابل لهذه الفكرة الخاطئة، إلا أنها ولأسباب مختلفة انتشرت بين المسلمين، وأخذت تأكل في هيكلنا كالجذام...

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: أبلغوا شيعتنا، ما شيعتنا إلا أهل الورع والتقوى والاجتهاد. والاجتهاد يعني هنا بذل الجهد والسعي والعمل. وجاء في «نهج البلاغة» أن الإمام عليّاً عليه السلام قال لرجل سأله أن يعظه: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجِّي التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين» [قصار الحكم، 150]. ولو

طلبنا من الإمام أن يعظنا اليوم لما وعظنا بغير هذه الكلمات[4].

نَحس الأيام وسعدها

هل كان في منهج الرسول ﷺ أن يبني دعوته على أساس «سَعْد الأيام ونحْسِها»؟ إن هذه مسألة مهمة، إقرؤوا سيرة الرسول من أولها إلى آخرها، واقرؤوا كل كتب السير سواء التي كتبها الشيعة أم السنّة، هل تجدون أن الرسول ﷺ بنى أعماله على فكرة سَعْد الأيام ونَحْسها؟. فإذا كان يريد السفر مثلاً، هل كان يقول: هذا هو يوم الاثنين ولا يناسب السفر. أو أن اليوم هو اليوم الثالث عشر من السنة الجديدة ومن يسافر فيه يلقى الصعوبات الجمة؟

هل تجد هذا النوع من المواقف؟ وماذا عن سيرة عليّ عليه السلام وماذا عن سيرة بقية الأئمة عليهم السلام؟

إننا لا نجد في سير الرسول ﷺ وأهل بيته أنهم تشبثوا بهذه الأمور عمليّاً، بل نجد العكس من ذلك، فقد جاء في «نهج البلاغة» أن بعض أصحاب عليّ عليه السلام قال له لما عزم على المسير إلى الخوارج: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت، خشيتُ ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم. فقال عليه السلام:

«أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صُرِف عنه السوء؟ وتخوِّف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضُّر؟. فمن صدَّقك بهذا فقد كذَّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك ـ بزعمك ـ أنتَ هَدَيْته إلى الساعة التي نال فيها النفع، وأمِن الضُّر!!»

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: «أيها الناس! أيّاكم وتعلّم النجوم، إلّا ما كان يُهتدي به في بَرّ أو بحر. فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجّم كالكاهن،

(4) مطهري. حق وباطل [الحق والباطل]، ص112-116.

والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر! والكافر في النار! سيروا على اسم الله»[5].

وجاء في (,سائل الشيعة) أن عبد الملك بن أعين (وهو أخو زرارة كان من كبار الرواة وكان عالماً وكان يعرف النجوم) قال: قلتُ لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: إني قد ابتُليت بهذا العلم [أي علم النجوم] فأُريد الحاجة، فإذا نظرت إلى طالع ورأيت الطالع الشرّ جلست ولم أذهب فيها، وإذا رأيت طالع الخير ذهبت في الحاجة، فقال لي: تقضي؟ [أي وتعمل بهذا العلم] قلت: نعم. قال: احرق كتبك[6].

وبالرغم من وجود مجموعة من الروايات في هذا المجال، فإن هناك مجموعة أُخرى من الروايات ذُكرت في تفسير الميزان، في تفسير آية ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت]. ويمكن الاستنباط من مجموع الأحاديث المروية عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار أن هذه الأمور إما لا أثر لها أساساً، وإما إن كان لها أثر فإن التوكل على الله يُبطل أثرها. إذن، فإن أيّ مسلم واقعيّ، وأي شيعيّ حقيقيّ لا يعتني في مجال العمل بهذه الأمور، فإذا أراد السفر مثلاً تصدّق بصدقة، وتوكّل على الله -عزّ وجّل- وتوسل بأولياء الله، ثم لا يعتني بشيء آخر[7].

(5) **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، الخطبة رقم 79.

(6) الحرّ العاملي. **وسائل الشيعة**، كتاب الحج، أبواب آداب السفر إلى الحج، الباب 14، الحديث 1.

(7) مطهري. سيره نبوى [السيرة النبوية]، ص29-30.